@ 368 @ فراقبوا ا في أعمالكم ، وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها ، وإياكم وما يكره ا تعالى ، فإنه مطلع عليكم ، عالم بظواهركم وبواطنكم . ! 2 2 ! أي : ما يغيب عن علمه وسمعه وبصره ومشاهدته ! 2 2 ! أي : قد أحاط به علمه ، وجرى به قلمه . وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر ، كثيرا ما يقرن ا بينهما ، وهما : العلم المحيط بجميع الأشياء ، وكتابته المحيطة بجميع الحوادث ، وكقوله تعالى : ! 2 ! . ! 2 2 2 ! يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه ، ويذكر أعمالهم وأوصافهم ، وثوابهم ، فقال : ! 2 2 ! فيما يستقبلونه ، مما أمامهم ، من المخاوف والأهوال . ! 2 2 ! على ما أسلفوا ، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال . وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثبت لهم الأمن والسعادة ، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا ا تعالى . ثم ذكر وصفهم فقال : ! 2 ! 2 با ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وصدقوا إيمانهم باستعمال التقوى ، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي . فكل من كان مؤمنا تقيا ، كان تعالى وليا ، لذلك كانت ! 2 2 ! . أما البشارة في الدنيا ، فهي : الثناء الحسن ، والمودة في قلوب المؤمنين ، والرؤيا الصالحة ، وما يراه العبد من لطف ا به وتيسيره لأحسن الأمال والأخلاق ، وصرفه عن مساوئ الأخلاق . وأما في الآخرة ، فأولها ، البشارة عند قبض أرواحهم ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! . وفي القبر ، ما يبشر به من رضا ا تعالى ، والنعيم المقيم . وفي الآخرة ، تمام البشرى ، بدخول جنات النعيم ، والنجاة من العذاب الأليم . ! 2 2 ! بل ما وعد ا فهو حق ، لا يمكن تغييره ولا تبديله ، لأنه الصادق في قيله ، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه . ! 2 2 ! لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور ، والظفر بكل مطلوب محبوب . وحصر الفوز فيه ، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى . والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب ، رتبه ا في الدنيا والآخرة ، على الإيمان والتقوى ، ولهذا أطلق ذلك ، فلم يقيده . ! 2 2 ! أي : ولا يحزنك قول المكذبين فيك ، من الأقوال ، التي يتوصلون بها إلى القدح فيك ، وفي دينك ، فإن أقوالهم لا تعزهم ، ولا تضرك شيئا . ! 2 2 ! يؤتيها من يشاء ، ويمنعها ممن يشاء . قال تعالى : ! 2 2 ! أي : فليطلبها بطاعته ، بدليل قوله بعده : ! 2 2 ! . ومن المعلوم أنك على طاعة ا ، وأن العزة لك ولأتباعك من ا ، ! 2 2 ! . وقوله : ! 2 2 ! أي : سمعه قد أحاط بجميع الأصوات ، فلا يخفى عليه شيء منها . وعلمه قد أحاط جميع الظواهر والبواطن ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . وهو تعالى يسمع قولك ، وقول أعدائك

فيه ، يعلم ذلك تفصيلا ، فاكتف بعلم ا وكفايته ، فمن يتق ا فهو حسبه . ! 2 2 ! يخبر تعالى : أنه له ما في السموات والأرض ، خلقا وملكا ، يتصرف فيهم بما يشاء من أحكامه . فالجميع مماليك  ، مسخرون ، مدبرون ، لا يستحقون شيئا من العبادة ، وليسوا شركاء  ، بوجه من الوجوه ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : الذي لا يغني من الحق شيئا ! 2 2 ! في ذلك ، خرص